الوحدة السادسة : حقوق الإنسان في الإسلام

إعداد: د. موسى معطان د. منى رفعت

مقدّمة

ازداد الحديث عن حقوق الإنسان في العصر الحديث، وكثرت الدعوات إلى حمايتها والمحافظة عليها، وتُوِّج ذلك بصدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عن الجمعيّة العامة للأمم المتّحدة في عام ١٩٤٨م.

وقد قرّر الإسلام حقوق الإنسان وأرسى حرّياته العامة، وسبق بذلك جميع الأنظمة والدساتير والمواثيق الدوليّة ، بل وتميّز عنها.

مظاهر التكريم الإلهي للإنسان

كرّم الله تعالى الإنسان وفضّله على غيره من المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء: ٧٠

مظاهر هذا التكريم كثيرة، منها:

١- خلقه الله على أحسن صورة ونفخ فيه من روحه.

٢- أسجد له الملائكة.

٣- استخلفه في الأرض ، وسخّر له سائر المخلوقات.

٤- ميّزه عن سائر المخلوقات بالعقل والإرادة وحريّة الاختيار.

مظاهر التكريم الإلهي للإنسان

١ـ خلقه الله على أحسن صورة ونفخ فيه من روحه

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ التين: ٤

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ السجدة: ٧ – ٩

يقول الشيخ الغزالي: (وقد أشاع الله نعمة الخلق بين خلائق كثيرة برزت من العدم إلى الوجود، بيد أنّ آدم عليه السلام هو وحده الذي وصفه بقوله: " سوّيته ونفختُ فيه من روحي ").

مظاهر التكريم الإلهي للإنسان

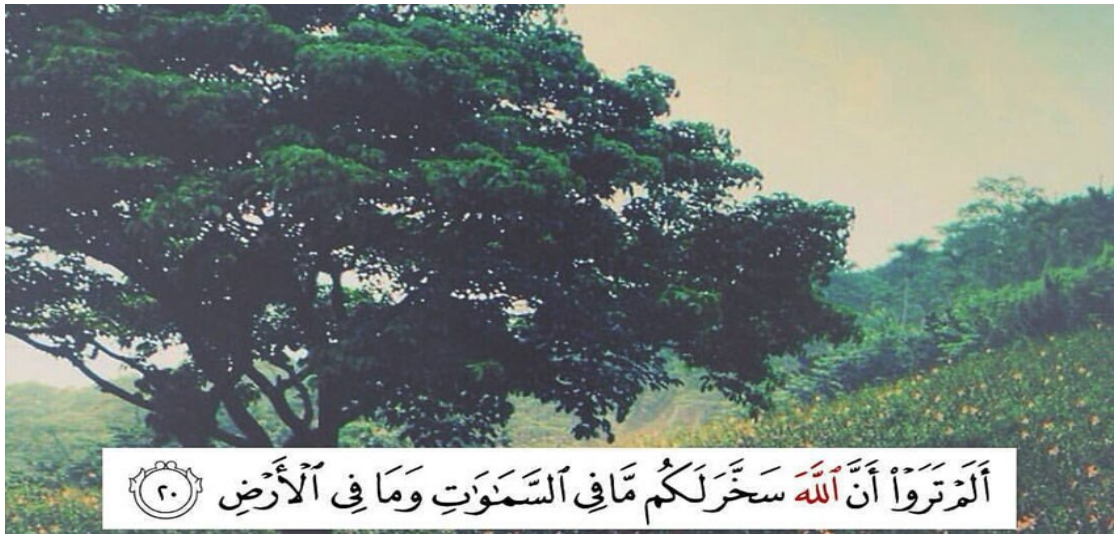

٢- أسجد له الملائكة

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الأعراف: ١١

يقول الشيخ محمد الغزالي: " طُولبت بالسجود له بعدما تمّ تكوينه، وعوقب من رفض السجود بالطرد من رحمة الله... إذ إنّ الاستهانة بالإنسان هي عند الله عصيان وخيم العاقبة."

٣- استخلفه في الأرض، وسخّر له سائر المخلوقات

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ البقرة: ٣٠

و يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ لقمان: ٢٠

مظاهر التكريم الإلهي للإنسان

٤- ميّزه عن سائر المخلوقات بالعقل والإرادة وحريّة الاختيار.

وهذا من أهم مظاهر تكريم الإنسان، فقد منح تعالى الإنسان حريّة الاختيار، وفضّله على سائر المخلوقات بالعقل والإرادة، إلى حدّ أنّ الإنسان قد يختار ما يضاد فطرته، فهو الموجود الوحيد الذي يمكن أن يعمل على خلاف فطرته وطبيعته، والملفت أنّ أوّل تطبيق عملي لحريّة الاختيار في الإنسان، كان عصياناً من الإنسان لمن وهبه هذه الحريّة وميّزه بها، يوم أكل آدم عليه السلام وزوجه من الشجرة، وذلك ليبيّن لنا الله تعالى ما ميّزنا به من حريّة الاختيار، في أصرخ صورها.

وهكذا نجد أنّ الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة سامية، ويرفعه مكانة لم يرفعه إليها أحد، فلم تبلغ النظرة إلى الإنسان هذا الحدّ في أيّ ميثاق دولي، أو أيّ إعلان لحقوق الإنسان.

الأخوة الإنسانيّة والمساواة البشريّة

أعلن الإسلام مبدأ الأخوّة الإنسانيّة والمساواة البشريّة، فأصل الإنسان واحد، لا يتميّز إنسان على آخر على أساس العِرق أو اللون أو الإقليم وغير ذلك، يقول الأستاذ الندوي:

(كان الإنسان موزّعاً بين قبائل وأمم وطبقات بعضها دون بعض، وقوميّات ضيّقة، وكان التفاوت بين هذه الطبقات تفاوتاً هائلاً، كالتفاوت بين الإنسان والحيوان، وبين الحُرّ والعبد ، وبين العباد والمعبود، لم تكن هناك فكرة عن الوحدة والمساواة إطلاقاً، فأعلن النبي ﷺ بعد قرون طويلة من الصمت المطبق والظلام السائد – ذلك الإعلان الثائر المدهش للعقول المقلِّب للأوضاع: (أيها الناس! إنّ ربكم واحد وإنّ أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إنّ اكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى).

الأخوّة الإنسانيّة والمساواة البشريّة

وهذا الإعلان يتضمن إعلانين، هما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام ، وعليهما قام السلام في كل مكان وزمان، هما: وحدة الربوبية والوحدة البشرية، فالإنسان أخو الإنسان مرّتين: مرّة - وهي الأساس - لأنّ الرب واحد، ومرّة ثانية لأنّ الأب واحد

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١

وهكذا سبق الإسلام الإعلان العالمي في **المادتين الأولى والثانية**، حيث جاء فيهما النصّ على أصل الإنسان من حيث الخِلقة والتساوي.

حقوق الإنسان الشخصيّة

كفل الإسلام للإنسان حقّه في الحياة والسلامة واحترام خصوصيّاته:

١- فدعا إلى الحفاظ على حياة الناس، وعدّ الاعتداء على نفس واحدة من أكبر الكبائر، واعتداء على البشريّة كلّها، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ المائدة: ٣٢

٢- ودعا الإسلام إلى سلامة شخص الإنسان وحرّم الاعتداء عليه، يقول النبي ﷺ : (كلّ المسلم على المسلم حرام دمه ومال وعرضه).

حقوق الإنسان الشخصيّة

٣- كما دعا الإسلام إلى احترام خصوصيات الإنسان في مسكنه وأسرته وشرفه، فحرّم التجسّس، وتتبّع العورات، واقتحام البيوت ودخولها دون إذن من أصحابها، وحرّم الظنّ السيء، وقذف الناس واتّهامهم في أعراضهم.

وهكذا سبق الإسلام الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة (3)، التي نصّت على حقّ الإنسان في الحياة والحريّة وسلامة شخصه، والمادة (12) التي نصّت على عدم جواز انتهاك خصوصيّات الإنسان، في مسكنه وأسرته وشرفه.

حقوق الإنسان القضائيّة

كفل الإسلام للإنسان **حقوقه القضائيّة**، وأهمّ تلك الحقوق:

١ـ **المساواة أمام القانون**، يقول النبي ﷺ: (وايْمُ الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها)، وقد عزل عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) أحد ولاته لأنه استهزأ بأحد رعاياه، واقتصّ من والٍ آخر لأنّه جلد أحد المواطنين بغير سبب وجيه، وعاقب محمد بن عمرو بن العاص ابنَ والي مصر، لأنه اعتدى على قبطي بالضرب، وهَمَّ بمعاقبة أبيه، لولا أن صَفَحَ القبطيُّ عنه، حيث خاطب عمرُ عمراً وابنه بمقولته الخالدة: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

حقوق الإنسان القضائيّة

قال صلى الله عليه وسلم

" إنَّ اللهَ يُعذِّبُ الذين يُعذِّبون في الدُّنيا "

صحيح مسلم

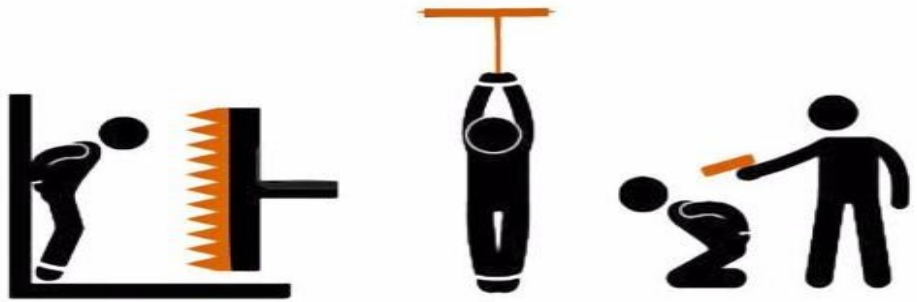

٢- المحاكمة العادلة: دعا الإسلام إلى العدل حتى مع المخالفين، وأرسى مبادئ المقاضاة العادلة، ومنها: (حقّ الفرد في اللجوء إلى القضاء لرفع أي ظلم يحس به)، (سماع أقوال المدعي والمدعي عليه)، (براءة المتهم حتى تثبت إدانته)، (لا عقاب دون جريمة).

٣- تحريم التعذيب: أكّد النبي ﷺ على حرمة تعذيب أي إنسان، حين قال: (إنّ الله يعذّب الذين يعذبون الناس في الدنيا)، وأنكر عمر (رضي الله عنه) على أحد وُلاته، وقد حجز بعض الناس تحت الشمس، بذريعة تأخّرهم عن دفع أموال مستحقّة عليهم لخزينة الدولة، وأمر بتخليتهم قائلاً: (دعوهم ولا تكلّفوهم ما لا يطيقون).

حقوق الإنسان القضائيّة

وهكذا سبق الإسلام الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المواد (5-11)، والتي تمنع إدانة أي إنسان أو حجزه دون محاكمة، وتحثّ على منحه الحق في التقاضي أمام جهة حاكمة نزيهة، كما تحظر التعذيب لأيّ إنسان.

5- لا يجوز لأحد إيذاؤك أو تعذيبك.
6- لكل شخص الحق في المعاملة المتساوية من قبل القانون.
7- القانون واحد للجميع، وينبغي أن يطبّق بالطريقة نفسها على الجميع.
8- لكل شخص الحق في طلب المساعدة القانونية عندما تُنتهك حقوقه.
9- ليس من حق أحد سجنك ظلماً أو طردك من بلدك.
10- لكل شخص الحق في محاكمة علنية عادلة.
11- كل شخص بريء حتى تثبت إدانته.

حقوق الإنسان الإجتماعيّة

إنّ المنـــاداة بالحريّـــات العامـــة لا تكفـــي لتحريـــر الإنسان، إذا لـم يصاحب ذلك مـا يكفل لـه حقّه فـي التعليم والصحة والضمان الاجتمـاع والعمل، إذ مـا قيمة حريّة الفكر مثلاً لمن لا يملك المسكن ولا يجد قـوت يومـه؟ وهـذا مـا تنبـه إليـه الغـرب متـأخراً، فازداد اهتمامه بالحقوق الاجتماعيّة، وهو ما سبق الإسلام إلى تقريره:

١- فالإسلام يقرّر **حقّ الضمان الاجتماعي**، إذ يُنشئ مجتمعاً متماسكاً متعاضداً، يقوم على الأخوة والبر والتكاتف والتكافل، لسدّ حاجات المحتاجين.

حقوق الإنسان الإجتماعيّة

٢- كما يكفل الإسلام **حقّ التعليم** لكلّ فرد في المجتمع الإسلامي، غنياً كان أم فقيراً، صغيراً كان أم كبيراً، ذكراً كان أم أنثى، مسلماً كان أم غير مسلم، وما من نظام أو دين حثّ على العلم ورفع من شأنه وميّز العلماء، مثلما فعل الإسلام.

٣- ويؤكّد الإسلام **حقّ الإنسان في العمل وتولّي الوظائف العامة**، ويلقي على عاتق الدولة واجب توفير فرصة العمل لكل مواطن، مع ضمان أجر عادل وحقوق كاملة، ويتيح لكل مواطن أن يتقدم لتولي الوظائف العامة على أساس الكفاءة، ويَعُدُّ توليةَ غير الكفء، على أسس فئويّة أو عائليّة أو حزبيّة، خيانة لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

حريّات الإنسان العامة

كفل الإسلام للإنسان كافة أنواع الحريّات الإنسانيّة، ومن ذلك:

١- حريّة التديّن

٢- حريّة التفكير والتعبير عن الرأي

الحريّة السياسيّة والاقتصاديّة

حريّة التديّن

أكّد الإسلام على حقّ الإنسان في اختيار الدين الذي يرتضيه، دون أي إجبار من أحد، وأرسى القرآن الكريم في ذلك قاعدته الخالدة: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ البقرة: ٢٥٦

وعلى هدي هذه القاعدة سار النبي ﷺ والصحابة (رضي الله عنهم) من بعده، فلم يجبروا يوماً أحداً على اعتناق الإسلام، وتعاملوا مع أصحاب الديانات الأخرى بتسامح غير مسبوق، وكفلوا لهم حريّة التعبّد، وحموا لهم دور العبادة.

وتشير كتب السيرة النبويّة إلى أنّ النبي ﷺ لم يكن يجد حرجاً في زيارة أهل الكتاب داخل بيوت عبادتهم، كما استقبل النبي ﷺ وفد نجران النصراني داخل المسجد النبوي وأكرم ضيافتهم.

ولعلّ الوثيقة الدستوريّة التي نظّمها النبي ﷺ بعد استقراره في المدينة المنورة، خير دليل على محافظة الإسلام على حقّ التديّن والعبادة لأهل الكتاب وللمخالفين له في العقيدة، والوثيقة العمريّة شاهدٌ أخر على ذلك.

حريّة التفكير والتعبير عن الرأي

كفل الإسلام للإنسان حريّته في التفكير وفي التعبير عن آرائه، دون أيّ اضطهاد أو عقاب أو إكراه.

ويمثّل الإسلام ثورة فكريّة وعقليّة تدعو الإنسان إلى التفكير الحرّ والتعقّل، وتشتدّ في النكير على أولئك الذين يلغون عقولهم ويُعمون بصائرهم، مكتفين بتقليد آبائهم، ومُسلّمين بصحّة الآراء السائدة، قال تعالى:

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

الزخرف: ٢٢ - ٢٤

كما دعا الإسلام إلى احترام آراء الأخرين، والتلطّف والتأدّب والتواضع في مخاطبتهم، بالحوار الهادئ وبالحسنى، وبألفاظ رقيقة رفيقة لا تُسَفِّهُ آراءهم، ولا تحقّر مذاهبهم، ولنتأمّل ذلك الأدب الرفيع في مخاطبة القرآن الكريم للكفّار في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

الأحقاف: ١٠

وهكذا سبق الإسلام إلى تقرير الحريّة الفكريّة وحريّة الرأي.

الحريّة السياسيّة والاقتصاديّة

كفل الإسلام للمواطنين في الدولة الإسلاميّة **الحريّة السياسيّة**، وأن يمارسوا حقّ المشاركة وإبداء الرأي ونقد السلطة الحاكمة.

كما كفل الإسلام للإنسان **الحريّة في التملّك والكسب والعمل**، وحرّم أكل الأموال بالباطل، ومنع حصر المال في يد فئة دون سواها من الناس.

معالجة الإسلام مشكلة الرقّ

١- حثّ الإسلام على معاملة الرقيق بإنسانيّة لم تُعهد من قبل، وساوى في الإنسانيّة بين الرقيق والسادة، في عالم كان يعدّ الرقيق من جنس آخر، خُلِقَ ليُستعبد ويُستذل ويَخدم سادته.

٢- ومن ناحية أخرى، عمل الإسلام على إنهاء مشكلة الرقّ، ففتح باب تحرير الرقيق على مصراعيه، وجعل من مصارف الزكاة مصرف تحرير الرقيق، واشتملت أكثر كفّارات الذنوب في الإسلام على تحرير الرقاب، فما أعظمه من دين!! وقد ربط مغفرة كثير من الذنوب بتحرير الرقيق! رابطاً بذلك تحرير الرقاب بأكثر شيء يقع من الإنسان، ألا وهو الذنوب والأخطاء.

٣- وفي الوقت الذي فتح فيه الإسلام أبواب تحرير الرقيق، فإنه في المقابل سد طرق الاسترقاق، وحصر مصير أسرى الحرب بالمنّ أو الفداء، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ محمد: ٤

معالجة الإسلام مشكلة الرقّ

وهكذا فإنّ الإسلام منذ أن أشرق نوره على البشريّة، سعى سعياً حثيثاً إلى معالجة مشكلة الرق، هذه المشكلة الإنسانيّة التي كانت عرفاً اجتماعيّا مستفحلاً لدى الأمم القديمة، من الرومان والفرس والعرب وغيرهم، وقضى عليها بالتدريج، **وسبق بذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة (4) والتي حظرت الرق.**

وقد يقول قائل هنا: لماذا تدرّج الإسلام في محاربة الرقّ، ولم ينهَ المسلمين عنه بنصّ محرّم حاسم قاطع ؟؟؟

والجواب: أنّ الرق كان مشكلة مستفحلة في المجتمعات البشريّة القديمة، وعادة متأصّلة يصعب إنهاؤها مرّة واحدة وبشكل قاطع، لأنّ ذلك سيخلق مشكلة إنسانيّة أشدّ خطورة وأكثر امتهاناً وتضييعاً للرقي من مشكلة الرق ذاتها، ذلك أنّ العبد نشأ وترعرع في كنف سيّده الذي كان مسؤولاً مسؤوليّة كاملة عن توفير كلّ أسباب العيش له، من مأكل ومشرب ومسكن وملبس، لذا فإنّ تحريره كما يعني التخلي عنه وتحميله كل أعباء الحياة ومسؤولياتها فجأة، ولم يكن قد اعتاد شيئاً من ذلك، ويكون تحريره مثل منح الحريّة لطفل صغير، بإلقائه فجأة في الشارع، يتدبّر شؤونه وحياته بنفسه، ولنتخيّل المجتمعات البشريّة القديمة، وفي كلّ مجتمع منها مئات آلاف بل ملايين الرقيق، وقد ألقى بهم إلى الشارع دفعة واحدة، ماذا سيكون حالهم وحال المجتمع؟! فتأمّل حكمة الإسلام ورحمته!! ومن هنا فإنّ الإسلام قد شرع **المكاتبة** وندب إليها، قال تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ النور: ٣٣ (والمكاتبة: نظام من التحرير التدريجي للرقيق، يقم على تدريب الرقيق على تحمّل المسؤوليّة والاستقلال في كسب عيشه، واختياره بعد ذلك ثمّ تحريره، لينطلق إلى الحياة حرّاً كريماً، لا أن يتحرر من رق العبوديّة ليسعبده رقّ أكبر، هو رقّ التشرّد واجوع وذل الحياة وظروفها القاسية).

خصائص الرؤية الإسلاميّة لحقوق الإنسان

لقد سبق الإسلام الغرب بأربعة عشر قرناً إلى تقرير وتطبيق حقوق الإنسان وحريّاته العامة، وهو سبق تشريعي معجز، في وقت كانت البشريّة تغرق فيه في ظلام دامس من الظلم والاستعباد والانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان الأساسيّة.

على أنّ هناك فوارق جوهريّة بين الإسلام والغرب فيما يتعلّق بهذه الحقوق، تتجاوز تلك المقاربة اللفظيّة بين نصوص الكتاب الكريم والسنة النبويّة ونصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ويُمكن توضيح أهمّ مميّزات الرؤية الإسلاميّة لحقوق الإنسان بالآتي:

١
واجبات دينيّة مقدّسة

٢
حقوق لكلّ الناس

٣
حريّة الإنسان الحقيقيّة في عبوديّته لله تعالى

١- واجبات دينيّة مقدّسة

إنّ تكريم الإنسان وتقرير حقوقه في الإسلام، ليس مجرّد حقوق لصاحبها أو غيره أن ينزل عنها أو أن ينتهكها، إنّما هو تكريم إلهي وحقوق دينيّة مقدّسة، وتكاليف وواجبات شرعيّة،تكتسب عند المسلم إلزاماً إلهياً لا يجوز له التهاون فيه أو السكوت على انتهاكه، بل يجب عليه أنيجاهد في سبيل حمايته، وذلك يكسب هذه الحقوق فعاليّة وقوّة وضمانة لا تتوافر في غير الإسلام. وهذه الرؤية:

١- **كانت أحد أسس الرسالات السماويّة، قال تعالى:** ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾الشعراء: ١٦ - ١٧

٢- وهي الرؤية التي فهمها الصحابة (رضي الله عنهم)، وعبّر عنه عمر (رضي الله عنه) في مقولته الخالدة: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)، وربعي بن عامر (رضي الله عنه) حين خاطب رستم بقوله: (الله ابتعثنا والله جاء بنا، لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام).

٢- حقوق لكلّ الناس

إنّ الإسلام ينادي بتكريم كل إنسان في كل مكان، ويكفل حقوق وحريّات الناس جميعاً، دون تمييز بين جنس وجنس أو عرق وعرق، بل دون تمييز بين مسلم وغير مسلم، فبنو آدم كلّهم مكرمون دون استثناء.

وأمّا الغرب، فإنه لا يعني بحقوق الإنسان إلا إنساناً معيّناً، هو الإنسان الغربي، الذي ينال حقوقه على حساب الإنسان الآخر، وفي اللحظات التي ينادي بها الغرب بحقوق الإنسان ويهب للدفاع عنه - يتبيّن أنّ المعنى هو الإنسان الغربي، وتكريمه ليس لكونه إنساناً، بل لانتمائه إلى نسق تاريخي واجتماعي وثقافي معيّن.

يقول د. محمد عمارة: (فتطبيقات الحضارة الغربيّة التاريخيّة والحديثة والمعاصرة في ميدان حقوق الإنسان، شاهدة على أنّ الإنسان الذي استحقّ أن تكفل له هذه الحقوق، إنما كان الإنسان الأبيض الغربي قبل سواه، وأكثر من سواه، وفي أحيان كثيرة دون سواه).

٢- حقوق لكلّ الناس

إنّ تقرير الغرب حقوق الإنسان في نصوص ومواثيق دوليّة لا يعني شيئاً، ولا يساوي قيمة الورق والحبر الذي كتب به، إذا كان واقع الإنسان لا يزال يسوده الاستعباد والظلم والعدوان والقمع، لقد استعبد النظام الرأسمالي الناس كلّهم، استعباداً جديداً وبأساليب جديدة، لكن الاستعباد هو الاستعباد، فالإنسان لا يزال يموت بمئات الآلاف، بسبب الجوع والمرض والفقر والبؤس والحروب في أفريقيا وغيرها، في حين يتفنن الإنسان الغربي في صناعة طعام لكلابه، وفي إلقاء أطنان من القمح في البحار والمحيطات كي لا يهبط سعرها.

والإنسان لا يزال يرزح تحت نظم دكتاتوريّة فاسدة في معظم دول العالم الثالث، تنتهك الحقوق وتنهب الخيرات، ثمّ تلقى كل الدعم من الدول الرأسماليّة. والإنسان لا يزال يخضع لهيمنة واحتلال الدول الرأسماليّة الاستعماريّة، التي تستعبده وتنهب خيراته، وتنظر إليه على أنه مجرّد كائن استهلاكي، يعيش على ما تنتجه له، ولا يُسمح له بأيّ استقلال سياسي أو اقتصادي أو اعتماد على النفس.

٣- حريّة الإنسان الحقيقيّة في عبوديّته لله تعالى

إنّ للإسلام رؤيته الخاصة لحريّة الإنسان، والتي تختلف عن الرؤية الغربيّة، حيث **يقرر الإسلام أنّ الإنسان لا يحقق حريّته الحقيقية وتكريمه الحقيقي إلا بالعبوديّة لله تعالى، والتحرر من شهواته وأهوائه وملذّاته وماديّته**، قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ ﴾ البينة: ١ – ٢ أي: **إنّ المشركين لا يمكن أن يتحرروا إلا بعبادة الله تعالى وحده.**

وبهذا المفهوم العميق للحريّة، فإنّ الإنسان الغربي نفسه، لم يتحرر بعد، ولم يصل منزلته الإلهيّة، فهو مُستعبد لشهواته وملذّاته، وغارق في ماديّته، وما يُنادي به الغرب من حقوق وحريّات للإنسان لا ينبع من الإيمان بالإنسان كقيمة، إذ الحضارة الغربيّة حضارة ماديّة إلهها المادة وسلطانها القوة، والإنسان مختزل في جانبه المادي، وهو ذو طبيعة حيوانيّة وشهوانيّة محضة.